

العلاقة العددية بين تسبيع السبعة والأحرف السبعة



د. منى بنت مسلم الحازمي
الأستاذ المساعد في قسم القراءات
جامعة أم القرى

الملخص

يتحدث هذا البحث عن "العلاقة العددية بين تسبيع السبع والأحرف السبعة"، وهو عمل ابن مجاهد، ومع عظيم العمل الذي قام به "ابن مجاهد" إلا أنه فتح باب آخر وهو فهم كثير من الناس أن قراءة من عدا هؤلاء السبعة لا يصح الأخذ بها، ولم يكن ابن مجاهد يقصد ذلك، كما فهم الناس بأن الأحرف السبعة هي القراءات السبع التي جمعها، وهو فهم خاطئ. فجاء هذا البحث ليوضح هذه العلاقة التي استشكلت عند كثير منهم، وتوضيح سبب اقتضاره على هؤلاء السبعة، وموقف القراء من هذا العمل، وأدلة فساد هذا التوهم عن العوام.

ويتحدث هذا البحث أيضاً عن العلة في اشتهاار قراءة القراء السبعة والعشرة دون غيرهم. كما يتحدث أيضاً عن علاقة القراءات بالأحرف السبعة، والرد عليها، والرأي الراجح فيها. وتوصلت في بحثي هذا إلى أهم النتائج والتوصيات:

- ١- أنه لا توجد علاقة بين عدد "سبعة" الذي اختاره ابن مجاهد، وأحاديث الأحرف السبعة.
- ٢- إن الأحرف السبعة المنزلة من الله تعالى هي مصدر القراءات، لا مصدر لها سواها.
- ٣- إن القراءات المقطوع بصحتها من السبع والعشر وغيرها هي من الأحرف السبعة قطعاً.
- ٤- أوصي الباحثين بدراسة علم الدراية دراسة تأصيلية، وتفعيله لكي يستفيد منه

طلبة هذا العلم خاصة، وبعض العوام عامة.

٥- التصدي للشبهات والإشكالات المثارة حول القراءات قديماً وحديثاً، والرد عليها، ومعالجتها، دفاعاً عن هذا الدين، ونصره للحق المبين.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية، الأحرف السبعة، تسبيع السبع، القراء السبعة، ابن مجاهد، السبعة.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحيا بالقرآن القلوب، وشرح به الصدور، وجعله هدى للمتقين، وشفاءً ورحمةً للمؤمنين، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن اتبعه فلا يضل ولا يشقى.

وأصليّ وأسلم على من كان خلقه القرآن - صلى الله عليه وعلى آله وصحابه - ومن تبع هداهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم، فقال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وإن من تمام حفظه لهذا الكتاب هو ما نراه من شدة انشغال العلماء بكل فرع متعلق بعلم من علومه، تأليفاً، وتحقيقاً، وتهذيباً، وتصحيحاً، وعناية، ليتحقق وعد الحفيظ المتين إلى يوم الدين.

وقد حظي (علم القراءات) بهذا الشرف، لاسيما وأن موضوعه ومادته ألفاظ الكتاب العزيز،

فأنعم بذلك من رفعة وكرامة.

ومن المواضيع الأساسية التي يجب على طالب هذا الفن معرفتها والإحاطة بأجزائها، موضوع الأحرف السبعة وعلاقتها العددية بين الأحرف والقراءات، وهو موضوع جدير بالبحث والعناية والتحقيق، لاسيما وقد كثرت آراء العلماء فيه وتشعبت أقوالهم، فمنهم من يرى أن القراءات جزء من الأحرف السبعة ومنهم من يرى أنها حرف منها، ومن يرى أنها هي الأحرف السبعة ذاتها التي جمعها ابن مجاهد في كتابه "السبعة".

ومن هنا انبثقت الحاجة إلى دراسة هذا الموضوع، وكشف اللثام عن حقيقته سائلة المولى - عزوجل - أن ينفع به طلاب هذا العلم.

أهم أسباب اختيار الموضوع:

- ١- توضيح مفهوم الأحرف السبعة، وعلاقة القراءات بها، لاسيما وأنه موضوع غامض على أذهان كثير من طلبة هذا الفن.
- ٢- تصحيح المفهوم الخاطئ الشائع من أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع.
- ٣- توضيح سبب العلاقة العددية بينها والقراءات.
- ٤- المشاركة في إثراء المكتبة القرآنية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والدراسة لم أجد من أفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة يوضح فيه عن العلاقة العددية بين تسبيع السبع والأحرف السبعة، وعلاقة اختياره لهذا العدد، واختياره للسبعة، والرد على كل من استشكل عليه فهمه من الناس والذي مازال بعضهم إلى يومنا هذا، وإن

كتبت بحوث كثيرة حول ابن مجاهد، ولكن على حسب علمي لم أجد من تعرض لهذه الجزئية بالبحث والدراسة، فقامت بدراسته وجمعه لينتفع به طلبة هذا العلم خاصة، والعوام من الناس عامة.

هيكل البحث: قسّمت البحث إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: تشمل أسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: ضبط القراءات وتدوينها، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: الاقتصار على تدوين بعض القراءات دون بعض.

المطلب الثاني: الاقتصار على تدوين القراءات السبعة فقط.

المبحث الثاني: علاقة تسبيع السبع بالأحرف السبعة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب العلاقة العددية، وتخصيص السبعة.

المطلب الثاني: موقف القراء من تسبيع السبع وعلاقتها العددية بالأحرف السبعة.

المطلب الثالث: أدلة فساد توهم العوام.

المبحث الثالث: المقتضى العلمي والمنطقي في بيان ثبوت القراءات المتواترة.

المبحث الرابع: القراءات القرآنية الثابتة جزء من الأحرف السبعة، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: التحقيق في علاقة القراءات القرآنية الثابتة بالأحرف السبعة والرد عليها.

المطلب الثاني: مقتضى التحقيق.

الخاتمة: وفيها بيان لأهمّ النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

المطلب الأول: الاختصار على تدوين بعض القراءات دون بعض

لما كثر القراء وكثر الرواة وأصبحت أعدادهم في المصر الواحد لا تكاد تُحصَر، حرص العلماء على ضبط القراءات من خلال معرفة الإمام المضبوط المتقن للقراءة ويدونون قراءته تدويناً تاماً.

وقد كان المجتمع الإسلامي في حاجة إلى تهذيب هذه القراءات الكثيرة وتدوينها، والاختصار على ما يسهل حفظه منها مما يحتاجه أهل الأمصار، فعمد كثير من المصنفين إلى الاختصار على بعض القراءات دون بعض.

وكان أول من عُرف عنه تدوين ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وهو من علماء القراءة، فدوّن كتاباً في القراءة لم يصل إلينا، لكنه ذكر خمسة وعشرين قارئاً من قراء الأمصار الذين اتفقت الأمة على تلقي قراءتهم بالقبول، وعرفوا بهذا الشأن وتناقل الناس عنهم القراءة، وقرأ عنهم أمم بعد أمم، فكان أول من عرف أنه ضبط هذه القراءات وأثبتها هو أبو عبيد القاسم بن سلام، ثم تتابع الناس من بعده على ضبط هذه القراءات، ثم جاء أحمد بن

(١) هو القاسم بن سلام، اشتهر بكنته أبي عبيد، ولد بمدينة هراء سنة سبع وخمسين ومائة، وقيل غير ذلك، أخذ القراءة على يحيى بن المبارك اليزيدي، وأخذ عنه ثابت بن أبي ثابت وجماعة، له مصنفات كثيرة منها: غريب الحديث، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين وقيل غير ذلك. انظر: معرفة القراء الكبار / ١٧٠.

جبير الأنطاكي (٢٥٨هـ) وجمع كتاباً ذكر فيه خمس قراءات، اختار من كل مصر قارئاً واحداً. ثم ألّف القاضي إسماعيل بن إسحاق^(٣) -صاحب قالون- (ت ٢٨٢هـ) كتاباً جمع فيه قراءة عشرين قارئاً، ثم جاء من بعده علماء آخرون، حتى جاء ابن جرير الطبري (٣١٠هـ)^(٤) فألّف كتابه في القراءات وذكر فيه أكثر من عشرين قارئاً، ثم ألّف أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني (ت ٣٢٤هـ)^(٥) كتاباً في القراءات وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة.

المطلب الثاني: الاقتصار على تدوين القراءات السبعة فقط:

جاء ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى (ت ٥٣٢هـ)^(٦) فألّف كتاباً اقتصر فيه على قراءات "السبعة" فقط، جمع فيه قراءات سبعة من مشهوري أئمة الحرمين والعراقين والشام، وهم نافع، وعبد الله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن عامر، وعاصم، وحزمة، وعلي

(١) هو أحمد بن جبير بن محمد بن جبير، ويكنى بأبي جعفر، كان من كبار القراء، توفي سنة ٢٥٨هـ، والأمصار الخمسة: مكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، والشام. انظر: معرفة القراء الكبار / ١ / ٢٠٧.

(٢) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل، القاضي البغدادي، توفي سنة ٢٨٢هـ. انظر: غاية النهاية / ١ / ١٤٧.

(٣) هو محمد بن جرير الطبري، صاحب المؤلفات والتفسير، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: معرفة القراء الكبار / ١ / ٢٦٤.

(٤) هو أبو بكر الداجوني محمد بن أحمد بن عمر الرملي، قرأ على الأئمة والصوري والرازي، توفي سنة ٣٢٤هـ. انظر: معرفة القراء الكبار / ١ / ٢٦٨.

(٥) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، شيخ العصر أبو بكر البغدادي المقرئ، مصنف كتاب القراءات السبعة، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين، وتوفي في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاث مئة. انظر: معرفة القراء الكبار / ١ / ٢٦٩ - ٢٧١.

الكسائي^(١).

قال السيوطي: ((أول من صنّف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام، ثم أحمد بن جبير الكوفي، ثم إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون، ثم أبو جعفر بن جرير الطبري، ثم أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني، ثم أبو بكر بن مجاهد، ثم قام الناس في عصره وبعده بالتأليف في أنواعها جامعًا، ومفردًا، وموجزًا، ومسهبًا، وأئمة القراء لا تحصى، وقد صنف طبقاتهم حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبي، ثم حافظ القراء أبو الخير بن الجزري، وقال الإمام ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر": "أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم فيها أحسب خمسة وعشرين قارئًا مع هؤلاء السبعة، ثم قال: وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط...))^(٢).

وهكذا نلاحظ أنّ اختيار هؤلاء القراء السبعة، وتمييزهم عن غيرهم، كان مصدره ابن مجاهد في القرن الرابع الهجري، ولم يميّزهم الذين سبقوه في تدوين القراءات والقراء.

(١) انظر: تاريخ القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادي الفضلي ص ٢٩-٣٢.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٩٨-١٩٩.

المبحث الثاني:

العلاقة بين تسبيع السبع والأحرف السبعة

المطلب الأول: أسباب العلاقة العددية، وتخصيص السبعة

يمكن أن نحصر الأسباب التي جعلت ابن مجاهد يعتمد إلى التسبيع، ويخص هؤلاء السبعة في ثلاثة أسباب:

أولاً: أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف وبعث بها إلى الأمصار، فجعل ابن مجاهد عدد القراء على عدد المصاحف، واختار من كل بلد وجّه إليه عثمان بمصحف قارئاً، ولما أعياه أن يجد قارئاً من البحرين أو اليمن وهما من البلدان التي وجه إليها عثمان مصحفاً؛ استعاض عن ذلك بتعدد قراء الكوفة، حيث كانت فيهم كثرة في القراء، ووفرة في العلوم عامة. قال أبو شامة (ت ٦٦٥هـ)^(١): ((وكان غرض ابن مجاهد أن يأتي بسبعة من القراء من الأمصار التي نفذت إليها المصاحف ولم يمكنه ذلك في البحرين واليمن لإعواز أئمة القراءة منها، فأخذ بدلها من الكوفة لكثرة القراء بها)).

ثانياً: أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة، لا أنه يعتقد أنها هي المرادة بالأحرف السبعة كما ظنه بعض معاصريه، بل على سبيل التبرك فيه، وقد وُجد من

(١) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم أبو القاسم المقدسي ثم الدمشقي، المعروف بأبي شامة، قرأ القراءات على السخاوي، وأخذ عنه القراءات أحمد ابن مؤمن اللبان، وصنف الكثير من أنواع العلوم، فشرح الشاطبية مطولاً ولم يكمله، ثم اختصره وهو الشرح المشهور بـ"إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع" وغير ذلك من الكتب، توفي رحمه الله سنة خمس وستين وستمائة. انظر: غاية النهاية ١/ ٣٣٠-٣٣١، والأعلام ٣/ ٢٩٩.

نسب إلى ابن مجاهد أنه كان يعتقد في قراءة هؤلاء السبعة تأويل حديث الأحرف السبع. قال أبو طاهر بن أبي هاشم -تلميذ أبي بكر بن مجاهد-: رام هذا الغافل مطعناً في شيخنا أبي بكر فلم يجده، فحمله ذلك على أن قوله قولاً لم يقله هو ولا غيره ليجد مساعاً إلى ثلبه، فحكي عنه أنه اعتقد أن تفسير معنى قول النبي ﷺ: « أنزل القرآن على سبعة أحرف » هو قراءات القراء السبعة الذين ائتم أهل الأمصار بهم فقال على الرجل إفكاً، واحتقبت عاراً، ولم يحظ من أذوبته بطائل، وذلك أن أبا بكر كان أيقظ من أن يقلد مذهباً لم يقل به أحد قبله. ثالثاً: شهرة هؤلاء السبعة بين القراء، واتفاق أهل الأمصار عليهم، وكثرة الرواة عنهم، حتى إن أبا عبيد القاسم بن سلام قال فيهم: ((إنهم تجردوا في القراءة واشتدت بها عنايتهم وكثر لها طلبهم، حتى صاروا بذلك أئمة يأخذها الناس عنهم، ويقتدون بهم فيها)). وقال ابن مجاهد: ((فهؤلاء السبعة من أهل الحجاز والعراق والشام خلفوا في القراءة التابعين، وأجمع على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار، إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفاً شاذاً فيقرأ به من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة، فذلك غير داخل في قراءة العوام، ولا ينبغي لذي لب أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزاً في العربية أو مما قرأ به قارئ غير مجمع عليه))^(١).

ونجد أن اختيار ابن مجاهد لهؤلاء السبعة كان وفق ضوابط وضعها وتم اختيارهم على

(١) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها للدكتور حسن ضياء الدين عتر ص ٣٤٨-٣٤٩، ومقال: القراء السبعة وأسباب اقتصار المؤلفين عليهم للدكتور أحمد فارس السليم، مجلة الجندي المسلم، رقم العدد ١٣٨.

ضوءها، وإنما إذا أمعنا النظر في السبعة التاليين لسبعته وجدنا أولهم الإمام أبا جعفر المدني أستاذ الإمام نافع المدني، وكأنّ ابن مجاهد اكتفى بالتلميذ عن الأستاذ؛ لأن قراءته وإن كانت مأخوذة من قراءة شيخه لكنها أكثر شيوعاً على ألسنة الناس من القراء وغيرهم في المدينة وما حولها.

وكذلك اكتفى بقراءة الإمام أبي عمرو البصري عن قراءة تلميذه يعقوب الحضرمي ويحيى اليزيدي لعلوا مكانة شيخهما في القراءات واللغة وقبوله لدى الناس.

ولعله ترك قراءة الإمام خلف البزار الكوفي؛ لأن قراءته لا تخرج عن قراءات الكوفيين في حرف ما.

وأيضاً لعله ترك قراءة الأعمش -شيخ الإمام حمزة- للسبب نفسه، ولما في قراءته من شذوذ^(١).

وقد ذكر ابن مجاهد بنفسه في حديثه عن ابن كثير المكي أن أهل مكة لم يجمعوا على قراءة ابن محيصن -وهو مكي أيضاً- كما أجمعوا على قراءة ابن كثير، بل إن أصحاب ابن محيصن لم يتبعوه في اختياره^(٢).

المطلب الثاني: موقف القراء من تسبيع السبع، وعلاقتها العددية بالأحرف السبعة:

لم يعرف القراء قبل ابن مجاهد التسبيع، ولا كان مؤلفوهم يخصوصونهم بالذكر، ولما سبّع ابن مجاهد أخذوا عليه في هذا التسبيع أموراً:

(١) انظر: صفحات في علوم القراءات: للدكتور عبد القيوم السندي ص ٤٦-٤٧.

(٢) انظر: السبعة لابن مجاهد ص ٦٥.

أولاً: إنَّ الاقتصار على سبعة يوهم أن ذلك هو المراد من حديث الأحرف، وإن لم يكن هو مراد ابن مجاهد، وقد وجد من قال بذلك، ونبه العلماء على خطئه. ثانياً: اتهم ابن مجاهد بقلّة الإطلاع وعدم المعرفة الواسعة بالرواية عن الأئمة القراء، وأنه قدم ما حقه التأخير، واكتفى براويين عن كل إمام مع أن بعضهم قد يوجد له من الرواية الثقات أضعاف ذلك.

ثالثاً: فكما انتقد ابن مجاهد في مسألة تخير الرواية عن الأئمة فقد انتقد في اختيار بعض السبعة. قال أحمد بن عمار المهدي (ت ٤٣٠هـ)^(١): ((لقد فعل مسبِّع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قلّ نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة))^(٢).

قال ابن الجزري: ((ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء، وخطؤه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على ما دون هذا العدد، أو زاده، أو بيّن مراده؛ ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة))^(٣).

(١) أحمد بن عمار أبي العباس المهدي نسبة إلى مدينة "المهدية" أستاذ مشهور، قرأ على محمد بن سفيان وعلى جده لأمه مهدي بن إبراهيم، ألف التواليف منها: الهداية في القراءات السبع، قرأ عليه غانم بن الوليد وآخرون، توفي بعد الثلاثين وأربعمئة. انظر: غاية النهاية ١ / ٨٦.

(٢) انظر: بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ص ٥٤، والنشر ١ / ٣٩، والتبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان لطاهر الجزائري ص ٨١.

(٣) انظر: النشر ١ / ٣٦.

قال الجعبري (ت ٧٣٢هـ)^(١) في قصيدته المسماة " نهج الدمثة ":
وأغفل ذوا التسبيع مُبَّهَمٌ قصده *** فزلَّ به الجُمُّ الغفير فجُهَّلا
وناقضه فيه ولو صح لاقتدى *** وكم حاذق قال المسبع أخطلا
وقال ابن الجزري: ((لقد صدق الجعبري رحمه الله فإنَّ هذه الشبهة قد استحكمت عند كثير
من العوام حتى لو سمع أحد قراءة لغير هؤلاء السبعة أو من غير هذين الراويين لسمَّها
شاذة، ولعلها تكون مثلها أو أقوى)).

إلا أنه عاد فاعتذر عن ابن مجاهد بقوله: ((والحق أنه لا ينبغي هذا القول، وابن مجاهد اجتهد
في جمعه فذكر ما وصله على قدر روايته، فإنه رحمه الله لم تكن له رحلة واسعة كغيره ممن كان في
عصره))^(٢).

والحق أنه كان لهؤلاء السبعة مزية على غيرهم، ولم يكن ابن مجاهد أول من أعلن ذلك
وأذاعه، فإننا نجد في كتب السابقين لأبي بكر بن مجاهد من المصنِّفين في القراءات كأبي عبيد
وابن جرير رحمهما الله، وهما من أوائل من صنف في جمع القراءات وذكر في كتابيهما أكثر من
عشرين قراءة، نجد أن هؤلاء السبعة من صميم اختيارهم، مع آخرين سواهم، فالسبعة محل

(١) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس برهان الدين، أبو إسحاق الجعبري، الربيعي الخليلي الشافعي،
ولد في حدود الأربعين وستائة، قرأ على أبي الحسن علي الوجوهي، قرأ عليه أبو بكر بن أيَّدُعدي ابن الجندي، من تأليفه:
كنز المعاني شرح حرز الأمان، توفي سنة اثنين وثلاثين وسبعائة. انظر: غاية النهاية ١/ ٢٥-٢٦.

(٢) انظر: منجد المقرئين ص ٢١٤-٢١٥.

اتفاق عند أغلب المصنِّفين في جمع القراءات، وإن وجد من أهملهم، لكنّه قليل^١، قال مكّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): ((قد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجل قدرًا من هؤلاء السبعة، على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة، واطّرحهم، قد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين من الأئمة فمن فوق هؤلاء السبعة، وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلًا، وكذلك فعل أبو عبيد وإسماعيل القاضي))^٢.

المطلب الثالث: أدلة فساد توهم العوام

١- تؤدّي دعوى العامة إلى بطلان كلّ قراءة سوى السبع، في حين أن العلماء قد ذكروا في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجلّ قدرًا من القراء السبعة، فكيف يمكن تجاهل قراءتهم، وهي موافقة خط المصحف، بل أصح مما قرأ به السبعة، ومن أجلّ ذلك ترك أبو حاتم وغيره من المصنِّفين ذكر حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد قرابة عشرين من الأئمة ممن فوق السبعة وفعل نحو ذلك الطبري وأبو عبيد القاسم بن سلام وإسماعيل القاضي.

٢- إن كلّ واحد من هؤلاء السبعة قد روى عنه جماعة تتفاوت قراءتهم، كما أن كل إمام من السبعة قد روى عن جماعة كثيرين، فلو أخذ بعين الاعتبار تفاوت الروايات عن الأئمة

(١) انظر: مقال القراء السبعة وأسباب اقتصار المؤلفين عليهم، للدكتور أحمد فارس السلوم، مجلة الجندي المسلم، رقم

العدد: ١٣٨، والأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها للدكتور حسن ضياء الدين عتر ص ٣٤٧-٣٤٩.

(٢) الإبانة لمكي ص ٢١-٢٢.

السبعة لبلغت الأحرف السبعة - حسب ظن العوام - من العدد ما لا يحصى، ولتحولت عن كونها سبعة أحرف.

٣- كان سابع السبعة يعقوب الحضرمي فأثبت ابن مجاهد في مطلع القرن الرابع الهجري الكسائي موضعه، فكيف يصح أن يكون تحديد الأحرف عرضة للتغيير وفق آراء البشر؟ والكسائي إنما قرأ على حمزة، وقراءة حمزة أحد الحروف السبعة في اعتبار العامة، كما قرأ أبو عمرو على ابن كثير.

فكيف يتولد حرف من حرف ويعتبر الجميع من الأحرف السبعة!

وقد عقد أبو الفضل عبد الرحمن الرازي فصلاً ناقش فيه رأي العامة، مبيناً أنه لا دليل عليه من كتاب أو سنة، وأنه لم يتمسك به إلا جهلة الناس، وأنه أدّى بهم إلى إنكار قرآنية بعض القراءات الصحيحة، وهذا التعلق منهم بالقراء السبعة لا مبرر له، فهّم بشر كسائر البشر لم تخصهم الشريعة بشيء ما دون غيرهم من المسلمين، فليسوا ذوي سلطان شرعي في تحديد الأحرف السبعة ولا في اختيارها، بل هم في ذلك كسائر القراء^(١).

المبحث الثالث

المقتضى العلمي والمنطقي في بيان ثبوت القراءات المتواترة

إن إضافة هذه القراءات إلى أفراد معينين، هم القراء الذين قرأوا بها، ليس لأنهمهم الذين أنشئوها أو اجتهدوا في تأليفها، بل هم حلقة في سلسلة من الرجال الثقات الذين رووا هذه الروايات ونقلوها عن أسلافهم، انتهاءً بالنبي ﷺ، الذي تلقى هذه القراءات وحياً عن ربه -

(١) انظر: الأحرف السبعة لحسن عتر ص ٣٤٩-٣٥١.

جلّ وعلا- وإنما نسبت القراءات إلى القراء؛ لأنهم هم الذين اعتنوا بها وضبطوها ووضعوا لها القواعد والأصول.

فالعلة في اشتهاؤ هؤلاء القراء، يرجع ذلك في الجملة إلى الأسباب التالية^(١):

- ١- انقطاع الأئمة للإقراء، وكانوا شيوخاً للإقراء بأمصارهم.
- ٢- اشتهروا بين العامة والخاصة بنقل القراءات.
- ٣- اشتهارهم بالتقى والصلاح، وعدم أخذهم أجراً على قراءتهم.
- ٤- كون القراء السبعة من القرون الثلاثة، حيث عهود الفصاحة مازالت في زمنهم.
- ٥- إن شيوخهم من التابعين معروفين، وسندهم قصير بينهم وبين الصحابي رجل واحد.
- ٦- إن قراءتهم مسندة لفظاً وسماعاً من أول القرآن إلى آخره.
- ٧- موافقة قراءتهم للرسم والعربية، وذلك وفق الضوابط التي قررها ابن مجاهد.
- ٨- تلقى الناس لقراءتهم بالقبول.
- ٩- إن اختيارهم كان من الأمصار المشهورة بالقراءة والإقراء، والتي بعث إليها عثمان مصحفاً.
- ١٠- أنهم لا يقرؤون إلا بما استفاض أو اشتهر بهذا المصر.

١١- اشتهار بعض القراءات في الأمصار بسبب شهرة المذاهب الفقهية، كما اشتهرت قراءة نافع المدني في بلاد المغرب العربي تبعاً لاشتهار المذهب المالكي هناك، وقد قال مالك بن نافع

(١) مقدمة السبعة لابن مجاهد ص ١٨ وما بعدها، وتسهيل علم القراءات لأيمن بقله ص ١٢٤-١٢٥، وتاريخ

القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادي الفضلي ص ٣٤-٣٧.

نافع: قراءة أهل المدينة سنة، قيل له: قراءة نافع؟ قال "نعم"، وحينما سئل عن حكم الجهر بالبسملة أثناء الصلاة قال: سلوا نافعاً فكلّ علم يسأل عنه أهله، ونافع إمام الناس في القراءة.

ويعلّل مكي بن أبي طالب سبب اشتهاار القراء السبعة بقوله: ((فإن سأل سائل فقال: ما العلة التي من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون من هو فوقهم، فنسبت إليهم السبعة الأحرف مجازاً، وصاروا في وقتنا أشهر من غيرهم ممن هو أعلى درجة منهم وأجلّ قدراً؟ فالجواب: إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد، كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدين، وكمال العلم، قد طال عمره واشتهر أمره بالثقة، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل، وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما يقرأ، فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً إماماً هذه صفته، وقراءته على مصحف ذلك المصر، فكان أبو عمرو من أهل البصرة، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها، والكسائي من أهل العراق، وابن كثير من مكة، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة، كلهم ممن اشتهرت أمانته، وطال عمره في الإقراء، وارتحال الناس إليه من البلدان))^(١).

ويقول للإمام الدمياطي (ت ١١١٧هـ)^(١): ((ليعلم أنّ السبب الداعي إلى أخذ القراءة عن القراء المشهورين دون غيرهم؛ أنه لما كثرت الاختلاف فيما يتمله رسم المصاحف العثمانية التي وجّه بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار والشام واليمن والبصرة والكوفة ومكة والبحرين وحبس بالمدينة واحداً وأمسك لنفسه واحداً الذي يقال له الإمام، فصار أهل البدع والأهواء يقرؤون بما لا يحل تلاوته وفقاً لبدعتهم؛ أجمع رأي المسلمين أن يتفقوا على قراءات أئمة ثقات تجرّدوا للاعتناء بشأن القرآن العظيم، فاختراروا من كل مصر وجه إليه مصحفاً أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل، وحسن الدراية وكمال العلم أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء، واشتهر أمرهم وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم، ولم تخرج قراءتهم عن خطّ مصحفهم))^(٢).

شهرة القراء الثلاثة:

عندما درس ابن الجزري القراءات رأى أنه ما من مبرر لرفض قراءة هؤلاء القراء الثلاثة الذين دونت قراءتهم ووصلت ابن الجزري، ولقد كانت قراءة القراء الثلاث وغيرهم معروفة، وقد أُلّف فيها، لكنها اشتهرت في عصر ابن الجزري. ومما ساعد على اشتهار القراءات الثلاث في عصر ابن الجزري:

(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء، من شيوخه علي الشبرايمسي، ومن تلاميذه أحمد الإسقاطي، من مؤلفاته إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، توفي بالمدينة المنورة ١١١٧هـ. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لأبي الفضل المرادي ٤ / ١٢٤.

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١ / ٧-٨.

١- تأليفه لمنظومة الدرّة المضية" في القراءات الثلاث، والتي جاءت على نسق ونظم وروي الشاطبية، قال في مقدمة كتابه "تخبير التيسير": ((رأيت أن تحفظ حفاظ الشاطبية بتعريف قراءات العشرة، وأجعلها في متن الحرز منظومة مختصرة، فجاءت في أسلوبٍ من اللطف عجيب، ونوع من الإعجاز والإيجاز غريب))^(١).

٢- تلقّي الناس لهذه القصيدة بالقبول، ووضع العلماء عليها الشُّروح المتنوّعة، والمختصرات المحرّرة.

٣- الإقراء بما حوت هذه القصيدة، حتى إنها أصبحت أحد مصادر القراءات الرئيسة المقروء بها اليوم.

لذلك أراد ابن الجزري بإضافته القراءات الثلاث إلى:

عدم توهم أن القراءات محصورة فيما ذكر في الشاطبية والتيسير، وعدم ظن أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع أو أن القراءات القرآنية سبع لا غير، وأدت زيادته القراء الثلاثة إلى إيضاح سبب اختيار القراء السبعة وإلى فهم الشروط التي يجب أن تتوفر في القارئ وكأنه هدف إلى هذا، وأدّت زيادته إلى فهم سبب عدم قبول بعض القراءات التي دونت في كتب القراءات مع أنها تحقق الشروط الثلاثة المعروفة، أدّت إلى إيضاح مدى وجود الخيارات في القراءة التي كان يقرئ بها وانتشرت في الصدر الأول وهذا يساهم في فهم القراءات وما هيّتها^(٢).

(١) انظر: تخبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري ص ٩٣.

(٢) انظر: تسهيل علم القراءات لأيمن بقلّة ص ١٢٥.

وقال ابن الجزري رحمه الله:

((نَقَلْتُ من خط الإمام أبي حيان الأندلسي رحمه الله - : قد ثبت لنا بالنقل الصحيح أن أبا جعفر هو شيخُ نافع، وأننا فعاقراً عليه، وكان أبو جعفر من سادات التابعين وكان في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان العلماء متوافرين، وقد أخذ القراءة عن الصحابة: عبد الله بن عباس وغيره، فلم يكن من هو بهذه المثابة ليقراً كتاب الله بشيءٍ محرّم عليه، فكيف وقد تلقّف ذلك في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته غصّاً رطباً قبل أن تطول الأسانيد، وقبل أن تدخل فيها النّقلة غير الضابطين؟! وأما يعقوب - رحمه الله - فقد كان إمام الجامع بالبصرة يؤمُّ الناس، والبصرة إذ ذاك ملأى من أهل العلم، ولم يُنكر أحدٌ عليه شيئاً من قراءته، ويعقوب تلميذ سلام الطويل، وسلام تلميذ أبي عمرو البصري وعاصم؛ فيعقوب من جهة أبي عمرو كأنه مثل الدوري الذي روى عن يزيد بن أبي عمرو، وهو من جهة عاصم كأنه مثل العليمي أو يحيى اللّذين رَوَيَا عن شعبة عن عاصم، وأما خلف فقراءته لا تخرج عن قراءة أحد من السبعة، بل ولا عن قراءات الكوفيين في حرف، فكيف يقول أحدٌ بعدم تواتر قراءات هؤلاء الثلاثة معادعائه تواتر قراءات السبعة"؟ ويواصل ابن الجزري قوله: ((فمن أجل ذلك قلتُ: والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ، فما يقابل الصحيح إلا فاسد...))^(١).

ومن المعلوم أن القراءات الثلاث متواترة كالسبع، فلقد قرّر الإمام ابن الجزري في "منجده" في غير ما موضع وأثبت تواترها، وردّ على من أنكر ذلك أو قدح فيه، واستفتى فيها علماء

(١) انظر: النشر ١/ ٤١ - ٤٥.

عصره فأفتوه في حكم تواترها ومما قاله ابن الجزري في ذلك ما يلي:

((فثبت وتحقق أن القراءات الثلاث المتواترة تلقاها جماعة عن جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب، وإذا كان كذلك فليس تواترها ولا تواتر السبع مقتصرًا عند أهلها فقط، بل هي متواترة عند كل مسلم سواء أقرأ القرآن، أم لم يقرئه؛ لأن ذلك معلوم من الدين بالضرورة؛ لأنها أبعاض القرآن))^(١).

واستفتى ابن الجزري كذلك شيخه عبد الوهاب السبكي^(٢) (ت ٧٧١هـ) عن تواتر القراءات العشر، فأجابه بقوله: ((القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي^(٣)، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر، وقراءة يعقوب، وقراءة خلف، متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله ﷺ لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل))^(٤).

وأشدد في منظومته "الهداية المهديّة في تمة العشرة":

(١) منجد المقرئين لابن الجزري ص ١٦٣.

(٢) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي، نسبة إلى سبك، من أعمال المنوفية بمصر، ولد سنة (٧٢٧هـ)، مؤرخ قاضٍ، باحث، انتهت إليه رئاسة القضاء والمناصب بالشام، توفي سنة (٧٧١هـ). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للعسقلاني ٣/٢٣٣، والأعلام للزركلي ٤/١٨٤.

(٣) القاسم بن فيّز بن خلف بن أحمد الشاطبي الأندلسي الرعيّني، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسةائة، من شيوخه: أبو محمد عاشر، ومن تلاميذه: أبو الحسن السخاوي، من مؤلفاته: حرز الأماني ووجه التهاني، توفي سنة تسعين وخمسةائة. انظر: غاية النهاية ٢/٢٠-٢١.

(٤) انظر: منجد المقرئين ص ١٧٤-١٧٥.

وبعدُ فَإِنِّي نَاظِمٌ أَحْرَفَ الثَّلَاثَةَ الْغُرِّ نِظْمًا مُوجِزًا وَمُفَصَّلًا
لَمَنْ أَتَقَنَّ السَّبْعَ الْقِرَاءَاتِ وَهُوَ يَطُوبُ لُبُّ الْعَشْرِ وَالطَّرْقُ الْعَوَالِي مُكْمَلًا
فَكَمَّ مِنْ إِمَامٍ قَالَ فِيهَا تَوَاتَرَتْ وَمَالَ عَلَيْهَا أَجْمَعُ النَّاسِ مُجْتَمَلًا
وَذَا الْحَقُّ وَهُوَ الْاِعْتِقَادُ بِلَا رَيْبٍ فَشَا وَبِهَا فِي الْفَرَضِ وَالنَّفْلِ مُسْجَلًا (١)

المبحث الرابع:

القراءات الثابتة جزء من الأحرف السبعة

المطلب الأول: التحقيق في علاقة القراءات الثابتة بالأحرف السبعة والرد عليها:

التحقيق الأول: ذهبوا إلى أن القراءات الثابتة سواء في ذلك العشر وغيرها هي بمجموعها مجموع الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن، بل يرى بعضهم أن الأحرف السبعة مستمرة بالنقل المتواتر إلى اليوم، واستدلوا له بأن الصحابة ومن بعدهم ما كانوا يلدعوا وحيًا أنزله الله على نبيه ﷺ، وأنهم لو فعلوا لكانوا عصاة مخطئين، وهم معصومون من الإجماع على ذلك. الرد عليه: بأن عثمان أراد وضع حد للاختلاف في القرآن بكتابة مصحفه، فمن المحتمل أن يكون ذلك قد أدى إلى ترك بعض ما يقرأ به في الأحرف السبعة مما لم يمكن أن يحتمل خط

(١) انظر: منظومة الهداية المهدية في تمة العشرة ص ٩٠.

المصحف القراءة به، وأيضاً أنهم لم يؤمروا باستيعاب جميع الأحرف في تلاوتهم، فاختاروا فيما خيروا فيه ما يؤدي إلى جمع الشمل ورأب الصدع والقضاء على الفتنة^(١).
التحقيق الثاني: رأي الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ): إن القراءات السبع والثلاث المكملة للعشر وقراءة الأعمش وغيرها من القراءات الثابتة، كلها ليست إلا حرفاً واحداً من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عليه عثمان مصحفه ووزعه على الأقطار الإسلامية.

وقد بين الطبري أن عثمان رضي الله عنه حسم الخلاف في قراءة القرآن بكتابة مصحفه والاقتصار فيه على حرف واحد، وأمر بإتلاف ما سواه من المصاحف، فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية^(٢).
الرد عليه: بأنه منسجم مع تأويل الأحرف السبعة على أنها سبع لغات في كلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، نحو: هلمّ وتعال، ونجد في هذا حملاً لمعنى الأحرف على الألفاظ المترادفة من لغات سبع وأن ذلك غير صحيح، وقد عدل الطبري نفسه عن هذا الرأي في كتاب "القراءات" إذ ذكر فيه ما ينقض مذهبه، فقال:

((كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله ﷺ لأُمَّته من الأحرف السبعة التي أذن الله له، ولهم أن يقرأوا بها القرآن، فليس لنا أن نخطئ من قرأ إذا كان ذلك به موافقاً لخط

(١) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها للدكتور حسن عتر ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١/٢٨.

التحقيق الثالث: رأي الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدي (ت ٤٣٠هـ): ذهب الإمام المهدي إلى أن هذه القراءات بعض الأحرف السبعة: ((وأصح ما عليه الخذاق من أهل النظر في معنى ذلك، أن ما نحن عليه في وقتنا هذا من هذه القراءات هو بعض الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن... فثبت بهذا أن القراءات التي نقرؤها هي بعض من الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن، وأستعملت لموافقته المصحف، الذي أجمعت عليه الأمة، وترك ما سواها من الحروف السبعة لمخالفتها لمرسوم خط المصحف؛ إذ ليس بواجب علينا القراءة بجميع الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن))^(٢).

التحقيق الرابع: رأي مكّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): ذهب الإمام مكّي إلى أن هذه القراءات جزء من الأحرف السبعة حيث قال: ((إن هذه القراءات كلّها التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الأئمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان، الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه، واطّرح ما سواه مما يخالف خطه، فقرئ بذلك لموافقة الخط، لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه وبعث بها إلى الأمصار، وجمع المسلمين عليها، ومنع من القراءة بما خالف خطها)).

وقال: ((المصحف كُتب على حرف واحد، وخطّه محتمل لأكثر من حرف، إذ لم يكن منقوطةً

(١) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ٣٥٤.

(٢) انظر: منجد المقرئين لابن الجزري ص ١٨٢.

ولامضبوطاً، فذلك الاحتمال الذي احتمال الخط من الستة الباقية، إذ يخلو أن يكون ما اختلف فيه من لفظ الحروف التي تخالف الخط إما هي مما أراد عثمان، أو مما لم يردده... فجاز لنا أن نقرأ بما صحت روايته مما يحتمله ذلك الخط...^(١)، وقال موفق الدين أحمد بن يوسف الكواشي في أول تفسيره التبصرة:

((كل ما صحّ سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوص عليها ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو مفترقين))، وكذلك ذهب أبو الفضل الرازي إلى أن القراءة المستوفية للأركان الثلاثة من الأحرف السبعة.

وقال ابن حبان: ((وهذه السبعة التي نتداولها اليوم غير تلك، بل هذه حروف من تلك الأحرف السبعة - وذكر حديث عمر مع هشام بن حكيم - لكن لما خافت الصحابة من اختلاف القرآن رأوا جمعه على حرف واحد من تلك الحروف السبعة، ولم يثبت من وجه صحيح تعين كل حرف من هذه الأحرف، ولم يكلفنا الله ذلك، غير أن هذه القراءة الآن غير خارجة عن الأحرف السبعة))^(٢).

التحقيق الخامس: رأي الإمام الداني (ت ٤٤٤ هـ)^(٣):

(١) انظر: الإبانة ص ١٨.

(٢) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ٣٥٥.

(٣) هو العلامة عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم القرطبي أخذ القراءات عرضاً عن أبي الحسن طاهر بن غلبون له مصنفات كثيرة منها: "التيسير في القراءات السبع"، توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة. انظر: غاية النهاية ١/٤٤٧-٤٤٩.

ذهب الإمام الداني إلى أنّ القراءات هي بعض الأحرف السبعة، حيث قال في كتابه "الأحرف السبعة للقرآن": ((وأما هذه السبعة الأحرف فإنها ليست متفرقة في القرآن كلّها، ولا موجودة فيه في ختمة واحدة، بل بعضها، فإذا قرأ القارئ بقراءة من قراءات الأئمة، وبرواية من رواياتهم، فإنما قرأ ببعضها لا بكلّها... وهذه القراءات كلّها، والأوجه بأسرها من اللغات، هي التي أنزل القرآن عليها، وقرأ بها رسول الله ﷺ وأقرأ بها، وأباح الله تعالى لنبيه القراءة بجميعها، وصوّب الرسول ﷺ من قرأ ببعضها دون بعض...))^(١).

التحقيق السادس: رأي الإمام ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ):

نجد أنّ رأي الإمام ابن الجزري كرأي الإمام مكّي بن أبي طالب، فالقراءات العشر بعض الأحرف السبعة؛ لأنّ الأحرف السبعة كانت كثيرة ونسخ بعضها، وروى بعضها شاذًا بسبب فقد الشروط الثلاثة المعروفة أو بعضها، قال الإمام ابن الجزري: ((الذي لا يُشكّ فيه، أنّ قراءة الأئمة السبعة والعشرة والثلاثة عشر وما وراء ذلك، بعض الأحرف السبعة من غير تعيين))^(٢).

وقال: "وكذا أقوال المعتبرين في ذلك: أنّ القراءات التي عليها الناس اليوم، الموافقة لخط المصحف إنّما هي بعض الأحرف السبعة من غير تعيين، وقيل: حرف منها، وقيل: بعض حرف))^(٣).

(١) الأحرف السبعة للقرآن للإمام الداني ص ٤٩.

(٢) منجد المقرئين ص ١٨١.

(٣) منجد المقرئين ص ١٨٥.

قال النويري^(١): - عند شرحه للبيت من الطيبة:

١٨- وأصل الاختلاف أن ربنا*** أنزله بسبعة مهوِّنا

((ولا شك - في أن هذه السبعة متفرقة في القرآن- بل وفي كل رواية باعتبار ما اختاره المصنّف في وجه كونها سبعة أحرف، فمن قرأ ولو بعض القرآن بقراءة معينة اشتملت على الأوجه المذكورة فإنه يكون قد قرأ بالأوجه السبعة دون أن يكون قرأ بكل الأحرف السبعة. وأمّا قول الدّاني: أن القارئ لرواية إنما قرأ ببعض الأحرف السبعة فمبني على قوله: إن الأحرف هي اللغات المختلفة، ولا شك أن قارئ رواية لا يجرّك الحرف ويسكّنه أو يرفعه وينصبه أو يقدّمه ويؤخره لقارئ))^(٢).

المطلب الثاني: مقتضى التحقيق

نجد في الجملة أن آراء وتحقيقات العلماء في العلاقة: أن القراءات تمثل حرفاً من الأحرف السبعة وهو ما ذهب إليه الإمام الطبري. والرأي الآخر: أن القراءات جزء من الأحرف السبعة، وهذا ما عليه جمهور العلماء قديماً وحديثاً.

وما أراه راجحاً في هذه المسألة الرأي الآخر؛ لأن الأحرف السبعة كانت أكثر مما نقرئ به اليوم العشر، وبعض تلك القراءات قد نسخ، والآخر نقل بروايات لم تتحقق فيها شروط

(١) محمد بن محمد بن محمد النويري، ولد سنة إحدى وثمانمائة، قرأ بالعرش على ابن الجزري والبساطي، صنف في أكثر هذه الفنون من ذلك: القول الجاذ لمن قرأ بالشاذ، مات سنة سبع وتسعين وثمانمائة. انظر: البدر الطالع ٢/ ٢٥٦.

(٢) شرح طيبة النشر للنويري ١/ ١٥٨.

القراءة المقبولة.

قال الإمام ابن الجزري: ((إن المصاحف العثمانية لم تكن محتوية على جميع الأحرف السبعة التي أبيحت بها قراءة القرآن، كما قال جماعة من أهل الكلام وغيرهم، بناء منهم على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة)).

وقال: ((لأننا إذا قلنا إن المصاحف العثمانية محتوية على جميع الأحرف السبعة التي أنزلها الله تعالى كان ما خالف الرسم يقطع بأنه ليس من الأحرف السبعة، وهذا قول محذور؛ لأن كثيراً مما خالف الرسم قد صحّ عن الصحابة رضي الله عنهم وعن النبي ﷺ)).^(١)

هذا هو مقتضى التحقيق؛ لأن بعض أفراد الأحرف السبعة نسخت تلاوته في العرضة الأخيرة؛ فلم يقرئ به رسول الله ﷺ بعدها، فلا يعتبر بعد ذلك قرآناً، ولذا لم يكتب في المصاحف العثمانية؛ لأن عثمان ورهطه -رضوان الله عليهم- كانوا يتحرّون كتابة ما ثبت في العرضة الأخيرة.

مثال ذلك: ما ثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء وابن مسعود -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قرأ: (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجل والذكر والأُنثى).

والحق الذي يعرفه كل محقق، أن ما ثبت في هذه العرضة من أحرف القرآن، والذي يمثل الصيغة الكاملة الأخيرة للقرآن قد كتب كله في المصاحف العثمانية، ولم يترك منه شيء، وقد اتفق المحققون على أن ما رواه الأئمة العشرة قد استوعب كل هذه الأحرف، واتفقوا على أن ما رواه غيرهم زائداً على ما رووه بجملتهم إما شاذ أو منكر أو ضعيف أو موضوع)).^(٢)

(١) انظر: منجد المقرئين ص ٩٣ - ٩٤.

(٢) حديث الأحرف السبعة للقاري ص ١١٦-١١٧.

الخاتمة

الحمد لله فبعد الانتهاء من هذا البحث في العلاقة بين الأحرف السبعة وتسبيع السبع، وما كتب عن الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات الثابتة، نذكر هنا أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج وتوصيات من أهمها:

- ١- أنه لا توجد علاقة بين عدد "سبعة" الذي اختاره ابن مجاهد وأحاديث الأحرف السبعة.
- ٤- إن الأحرف السبعة المنزلة من الله تعالى هي مصدر القراءات، لا مصدر لها سواها.
- ٥- إن القراءات المقطوع بصحتها من السبع والعشر وغيرها هي من الأحرف السبعة قطعاً.
- ٦- إن القراءات الأحادية والشاذة والمنكرة تعتبر من الأحرف السبعة التي قد نسخت أو فقدت أحد أركان القراءة المقبولة.

التوصيات:

- ١- أوصي الباحثين بدراسة علم الدراية دراسة تأصيلية، وتفعيله لكي يستفيد منه طلبة هذا العلم خاصة، وبعض العوام عامة.
- ٢- التصدي للشبهات والإشكالات المثارة حول القراءات قديماً وحديثاً، والرد عليها، ومعالجتها، دفاعاً عن هذا الدين، ونصره للحق المبين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا وقرّة أعيننا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم